فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

تفسير سورة يس من الآية 13 إلى الآية 23

لفضيلة الشيخ : أحمد عبد المنعم

رابط المادة : http://way2allah.com/khotab-item-105874.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد –صلّى الله عليه وسلم–:

بإذن الله –عز وجل– نستكمل تفسير سورة يس، كنا توقفنا عند قول الله –عز وجل– في بداية القصة: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ *"يس13:17.

في المرة الماضية وإحنا بنتكلم عن مقدمة سورة يس كنا ذكرنا إن من المقدمة ومن خلال بعض الآيات في سورة يس بنفهم الجو اللي نزلت فيه هذه السورة، جو من الاستضعاف، جو من نوع من الظلام، ناس طال عليهم الأمد بعيدًا عن الإنذار "لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ" يس:6، قلنا الراجح إن "ما" منفية مش موصولة، وإن كان فيه علماء رجَّحوا إن هي موصولة، أي لم يأتهم النذارة من زمن طويل.

وقلنا المجتمعات اللي بيطول عليها الأمد بدون النذارة بتغرق في الشهوات وبتغرق في الباطل، ويتحول الباطل إلى نظام يصعب تغييره ويصعب التخلص منه، يتحول الباطل إلى نظام يصعب تغييره ويصعب التخلص منه في هذه الأوقات لدرجة إن اللي بيتكلم بكلمة الحق بيقتلوه، زي ما معانا في القصة إن شاء الله النهارده لما قال: "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا*" يس:20،21 إلى آخر الآيات "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ" يس:26. قتلوه..

في هذه الأوقات لابد من أشياء معينة يتعلمها أهل الإيمان ويلتزم بها أهل الإيمان، منها ما ذكرناه في المرة الماضية أن يكون أهل الإيمان على يقين مما هم فيه من حق، لذلك قال الله –عز وجل– أقسم "وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *" يس:2،3.

قلنا الفارق ما بين المؤمن يتكلم عن أشياء سمع عنها أو قرأها وبين من يتكلم عن أشياء هو يعيشها، معاني هو عايشها معينة فبيكلم الناس عن هذه المعاني التي يراها رأي العين، يكلم الناس عن هذه المعاني التي لمسها بالفعل، ولامست قلبه فتأتي هذه القصة بعد المقدمة لتبين نموذج إزاي إن فيه رسل راحت لأقوام أيضًا كانوا مغرقين في الشهوات مبتعدين عن الحق، أصبح الباطل عندهم منظم لدرجة يصعب تغييره..

إزاي الدعوة بتتم في هذه الأوقات، ما الذي يجب على الدعاة أن يستحضروه في هذه المعاني، فقال الله عز وجل لنبيه –صلّى الله عليه وسلم–: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ" يس:13 اضْرِبْ لَهُمْ لقريش الذين أعرضوا وأوغلوا في

الإعراض بعيدًا عن الدعوة، اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بهذه القرية وما حدث لها وشؤم معصيتهم وعاقبة إنذارهم ما الذي حدث لهم، فحذرهم أن يسيروا على نهجهم، فبالتالي يكون مصيرُهم مثل مصيرِهم لو ساروا على نفس طريق هؤلاء سينتهي بهم المآل إلى نفس المصير، فليس بين الله –عز وجل– وبين أحد نسب، فلو أعرضوا ينزل الله عز وجل عليهم العذاب.

أيضًا اضرب للقرية إذ جاءها المرسلون أي للمصلحين في كل مكان نموذج أنهم ليسوا فقط من حوربوا ومن عودوا ومن أوذوا بل هناك من الرسل من أُرسلوا إلى أقوامٍ أُغرقوا في الإبعاد وفي الإعراض عن دين الله –عز وجل– ولكنهم واجهوا الباطل بدعوة الحق، ونصروا دين الله –عز وجل– مهما كانت الظروف.
فهذا المثل المضروب للدعاة للعاملين لدين الله، للمؤمنين أيضًا، مضروب للمستكبرين للمعرضين أيضًا، مضروب لمن أراد الإصلاح ولو كان فردًا في زمن انتشر فيه الباطل، فيقول الله عز وجل:
"وَاضْرِبْ لَهُم –لكل هؤلاء– مَّثَلاً" يس:13.

الله –عز وجل– سَنَّ سننه –سبحانه وتعالى– في خلقه ثابتة وتتكرر، فلما ربنا يضرب لنا مثل بنموذج إصلاحي هذا النموذج الإصلاحي بيتكرر كل ما تكررت مثل هذه الظروف، فنموذج فتية الكهف بيتكرر كل ما تكررت هذه الظروف، ونموذج صاحب الجنتين الكافر لما يأتيه المؤمن ويدعوه أيضًا تتكرر هذه النماذج.
ومن حكمة ربنا سبحانه وتعالى في غالب هذا القصص اللي بعيدًا عن الرسل والأنبياء، غالب هذه القصص حتى أحيانًا يأتينا مع رسل زي اللي معانا في القصة النهارده لايذكر أسماء وتعيين الأشخاص وتحديد الأماكن؛ لإن الغرض إن ده نمودج بيتكرر كل ما اجتمع أهل باطل وحاولوا أن يحاربوا هذا الدين يظهر نموذج من الرجال المؤمنين الذين يقيضهم الله –عز وجل– لنصرة الدين، ينصرون هذا الدين..

عشان كده الراجل بتاع النهارده قال، قال الله –عز وجل–: "وَجَاءَ رَجُلٌ" ما قالش اسمه، أيضًا في سورة القصص "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى" القصص:20، وهنا "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس:20، ومؤمن أهل فرعون لا نعلم اسمه، إن الله –عز وجل– يقيض رجالًا ينصرون هذا الدين أيًّا كانت الأسماء وأيًّا كانت الوقائع فالنماذج بتتكرر.

فلما ربنا هنا يقول: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ" يس:13 هذه الأمثال تتكرر مع كل قرية عتت وتجبرت وطغت، يقيض الله –عز وجل– رجالًا يقومون بنصرة هذا الدين قد يستشهدون وقد يُنصرون.

"وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" يس:13 إذْ.. هذه اللحظة التغييرية التي تذكر دائمًا في القرآن، وكإنّ البداية بداية التذكر ينبغي من هذه اللحظة "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا

مُصْبِحِينَ"القلم:17 "إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ" سورة القلم كإن هذه اللحظة كانت لحظة التغيير في حياتهم، أيضًا في قول الله –عز وجل–: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ" آل عمران:152.

هذه اللحظات ينبغي تذكرها، فكإن القرية كانت عايشة بطريقة معينة وفي نظام معين مستمرة ومفيش تغيير إلى أن جاء المرسلون بدأ التغيير يحدث في هذه القرية "إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" يس:13 وكأن الله –عز وجل– لن يترك قرية بدون إنذار "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" الإسراء:15 يرسل الله –عز وجل– رسله؛ لينذروا القرى.

"وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا" يس:13 همَّ المرسلون همَّ الذين جاءوا إلى هذه القرية، هذا شعار للدعاة إن همَّ اللي ينتشروا ويذهبوا، لذلك قال الله –عز وجل–: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ" الفرقان:20 لما اعترضوا "وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ" الفرقان:7 بأن الأسواق هي أبغض البقاع إلى الله –عز وجل– إلا أن الرسل كانوا يمشون فيها ليُعلموا الناس دين الحق، ويتعاملوا كبشر، وأي مكان فيه مطلب أنك تظهر دين الله –عز وجل– فيه إيه التعامل الشرعي في هذا المكان.

فلما بيعمل أهل الدين في هذا المكان يبينون للناس ما الذي يرضي الله، ما الذي يرضي الله –عز وجل– في هذا المكان، هل ترك هذا المكان؟ هل فيه أعمال معينة تُفعل في هذا المكان؟ زي ما قلنا في سورة المطففين إن في بعض الآثار إن لما نزلت سورة المطففين قرأها النبي –صلّى الله عليه وسلم– في السوق، نزل على أهل السوق وقرأ عليهم "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ" المطففين:1. "إِذْ جَاءَهَا" يس:13 همَّ اللي راحوا بنفسهم لغاية القرية.

"إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ"يس:13 المرسلون طبعًا اختلفوا بعض العلماء هل مرسلون من عند الله –عز وجل–؟ دول رسل ربنا أرسلهم؟ ولا دول رسل سيدنا عيسى هو اللي أرسل الرسل؟ سياق غالب سياق الآية يرجح إن دول رسل من عند ربنا، أيًّا كان والخلاف بين المفسرين موجود.

"إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" يس:13 وبعض العلماء فَرَّق بين "جاءها" و "أتاها"، بعض علماء اللغة قال إن "جاءها" فيها مشقة، "أتاها" فيها سهولة ويُسْر، ف "جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" بذلوا جهدًا ليصلوا إلى هذه القرية؛ لإن في قرى عتت عن أمر ربها وظلمت وطغت، إن ربنا –سبحانه وتعالى– يصطفي ويختار ثلاثة من المرسلين يذهبوا لهذه القرية اصطفاء لهذه الرسل..

لما ربنا قال لسيدنا موسى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" طه:24، ربنا بيقولُّه ده طاغية؛ فأنا أرسلتك إليه، فكل ما الظالم بيتجبر وبيكون طاغية بيصطفي الله –عز وجل– رجالًا؛ ليقفون أمامه، فاصطفى الله –عز وجل– كليمه موسى ليقف أمام فرعون وليذهب إليه.

فأيضًا هذه القرية الظالمة التي عتت عن أمر ربها وتجبرت أرسل الله –عز وجل– إليها واصطفى هؤلاء المرسلين ليذهبوا إليهم "إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" يس:13 ودي إشارة إن لابد أن ينذر الطغاة ويذهب إليهم ويدعو إلى دين الله عز وجل، "إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ".

"إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ" وده دليل على قمة الطغيان إن الواحد بالنسبة لهم مش كفاية؛ فأرسل الله إليهم اثنين "فَكَذَّبُوهُمَا" يعني بالرغم من إن الرسل معاهم آيات ومعاهم بينات وجاءت فاء التعقيب السريعة "فَكَذَّبُوهُمَا" مش عايزين نسمع، ما ربنا ما قالش "إذ أرسلنا إليهم اثنين ثم كذبوهما" قال: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا" يس:14، أعرضوا عن ذكر الله –عز وجل–، لم يلبثوا ولم يتدبروا في الآيات ويتفكروا، بل مباشرة قابلوا الرسالة بالتكذيب "فَكَذَّبُوهُمَا".

فقال الله –عز وجل–، لم يقل الله –عز وجل– "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فأهلكناهم" ربنا قال إيه؟ شوف حلم الله –عز وجل– على العباد، كان واحد كفاية، وكان ممكن لو كذبوا واحد ربنا يهلكهم، قامت عليهم النذارة، وهذا يدل إن الإنسان لا يعجل على الناس مرة واثنين وثلاثة.

"إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا" يس:14، فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:14 الأمور تُوضَّح أكثر ليهلك من هلك عن بينة، لم يقل "فأهلكناهم" بالرغم إن همَّ كذبوا رسولين، ولو كذبوا رسول واحد يهلكوا، فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يس:14..

قَوْل الله –عز وجل– "فَعَزَّزْنَا" لم يقل "فأرسلنا ثالثًا" قال: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" ما ينبغي على الدعاة في وقت انتشار الظلم وانتشار الشهوات وانتشار الظلام في المجتمع لابد أن يتعاونوا وأن يعزز بعضهم بعضًا، فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" أرسلنا إليهم ثالثًا ليعززهم ويقويهم ويكون دافعًا لهم ويغطي ويجبر ما وقع منهم، وكإن كل واحد ممكن يتوزع في مكان أو يتعاونوا أو كل واحد يبين شيء معين، يقسمون الناس، يقسمون المناطق، فيه تعاون بينهم "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ"، فوجود الدعاة مع بعضهم البعض لابد أن يكون تعزيزًا لا تنقيصًا، وجود الدعاة مع بعضهم البعض في مكان لابد أن يكون تعزيزًا لوجودهم.

يعني الطبيعي إن مثلًا حتى في الأدوية وفي غير ذلك يقولوا في التفاعلات إن الطبيعي واحد زائد واحد بيساوي اتنين أحيانًا وجود مُرَكَّب مع مُرَكَّب يؤدي إلى تضاعف القوة، فواحد زائد واحد بيساوي أربعة أو خمسة، وأحيانًا بيضاد بعضهم بعضًا، فيكون واحد زائد واحد بيساوي صفر؛ فأحيانًا وجود.. المفروض الطبيعي إن وجود الدعاة مع بعضهم البعض يكون تعزيزًا..

قوتي مضافة إلى قوتك مع توفيق من الله؛ لأن "يد الله مع الجماعة" صححه الألباني، فواحد زائد واحد بيساوي عشرة، الدعاة مع بعض وأهل الإيمان مع بعض دعم ربنا سبحانه وتعالى ليهم بيكون عالي جدًا يد الله مع الجماعة؛ لأن كل

فرد بمفرده خلاص هو وقوته، لما بيبقوا الاتنين مع بعض أو الثلاثة مع بعض مش بيبقى واحد زائد واحد زائد واحد بيساوي ثلاثة، لأ، بيبقى واحد زائد واحد زائد واحد وكل واحد وقوته زائد توفيق الله –عز وجل– ويد الله –عز وجل– مع الجماعة بتفرق معاهم.

فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا" وفي قراءة "فَعَزَزْنَا" عزّزنا أي قوينا، عززنا أصبحوا في عزة، فالعزة والغلبة والظهور يكون بالتعاون، وضد ذلك الانتكاس والخفاء يكون بالتناحر "وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" الأنفال:46، أي تناحر بين أهل الإيمان بمكان اعلم قطعًا أنهم سينهزموا بل عَدَّه بعض السلف من سنن الله –عز وجل– أنه "ما تنازع أهل الإيمان إلا علا أهل الباطل على أهل الإيمان"، وأظن الإمام الشعبي هو اللي ذكر هذه القاعدة أي تنازع بين أهل الإيمان في مكان على طول يعقبه علو أهل الباطل على أهل الإيمان.

فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا" ومن اللطائف الجميلة الذي ذكرها الإمام الزمخشري في تفسيره يقول إن المحذوف المفعول به محذوف، ربنا قال عززنا مين؟ لم يقل الله –عز وجل– فعززناهما، قال إيه؟ "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا" يس:13 كان متوقع إن ربنا يقول "فعززناهما" أي أرسلنا ليهم هما الاتنين واحد يعززهم، لكن الزمخشري يقول المفعول به حُذِف؛ لإن مش المقصد تعزيز الرسل، المقصد تعزيز الحق، فالمفعول به هنا هو الحق محذوف.

أيّ شيء يعزز الحق نفعله سواء بوجوده أو بغيابه، يعني لو تعزيز الحق إن أنا أسكت أسكت، لو تعزيز الحق إن أنا أتكلم أتكلم..

يبقى على حسب اختلاف المراد من الله –عز وجل– في تعزيز الحق نفعل، يعني أحيانًا يكون من تعزيز الحق إنك تسكت خلاص تسكت على بعض الخلاف مع أخيك، وأحيانًا من تعزيز الحق أن تتكلم، وأحيانًا من تعزيز الحق أن تتواجد، وأحيانًا أن تنصرف وأحيانًا أن تتوزع، على حسب اللي يفيد دين ربنا –سبحانه وتعالى– يبقى اللي يفيد دين ربنا نعمله..

يعني مثلًا: عندما تقام الصلاة واحد يتقدم للإمامة فمن التعزيز إننا نترك واحد اللي يتقدم للإمامة مش الكل يتقدم للإمامة، مش من التعزيز إن إحنا كلنا نتشاجر ونتنازع عن الإمامة، إذن من التعزيز في هذا الموقف السكون، وإن واحد بس اللي يُقدَّم للإمامة، الأفضل والأعلى والأتقى هو اللي يُقدَّم للإمامة.

فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:13 فالقوة والغلبة والتعزيز يكون بالتعاون والتراصّ، دي سنة من سنن ربنا –سبحانه وتعالى–، أيّ تنازع أيّ خلاف على طول يعقبه الفشل والفشل ذكر في القرآن مقرونًا بالتنازع "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا"الأنفال:46، والتنازع ذُكِر في القرآن مقرونًا بالفشل في أكثر من موضع في كتاب الله –سبحانه وتعالى–، فقال الله –عز وجل–: "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:13 إحنا قلنا بيُستفاد من القصة دي ومن خلال السورة إيه اللي بينبغي على الدعاة أن يفعلوه في وقت الفتن وانتشار الظلام والاستضعاف ومجتمع طال عليه الأمد بعيدًا عن النذارة في وسط هذه الأشياء ما الذي ينبغي على الدعاة أن يفعلوه؟

إنُّه رقم واحد أن يكونوا على بينة ويقين من أمرهم، همَّ رقم واحد اللي يكونوا على يقين، لذلك كانت البداية في السورة بقسم من الله أنك على الحق "وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ *إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" يس3:2 ونفس الكلمة التي قيلت للنبي –صلّى الله عليه وسلم– همَّ قالوها إننا لمن المرسلون "إِنَّا إِلَيْكُم" يس:14 التأكيد/ هذه الكلمة التي أقسم الله –عز وجل– عليها في أول السورة هي نفس الكلمة التي قالها الرسل.

يبقى أول شيء ينبغي على الدعاة في وقت انتشار الظلام والفتن أن يكونوا هم على يقين، بحيث إن لما يقوموا بالدعوة محدش يتهز، مش أول لما يحصل فتنة وبعدين يقول صح طب افرض إحنا مش على الحق، طب افرض همَّ على الحق، هذه البلبلة لا تحدث لأهل الإيمان الثابتين على الحق في هذا الوقت.

فقال الله –عز وجل–: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:14 إذن أي شيء على الدعاة ينبغي أن يفعلوه لتعزيز الحق يجب عليهم أن يفعلوه وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

"فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا" مش "فقال" كل واحد منهم، لأنهم أصبحوا شيء واحد، قالوا مع بعض "فَقَالُوا إِنَّا" للتأكيد "إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يس:14، أكدوا أنهم مرسلون، نفس التأكيد اللي جه في أول السورة "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" يس:3 نفس التأكيد، قالوا مع بعضهم البعض مفيش تنازع، مفيش خلاف، مش كل واحد يقول لوحده، "قالوا" وكأنهم قالوها في وقت واحد، قالوا.

"فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يس:14، أيضًا انظر إلى فاء التعقيب، ما انتظروش، لا، بعد التكذيب جه التعزيز، قاموا بالدعوة مباشرة "فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" يبقى إذن لا بد أن يتعاون الدعاة، ويكونوا مع بعضهم البعض، كأنهم جسد واحد، كلماتهم واحدة خاصةً في الأصول..

الفروع طبعًا فيه خلاف، وضْع الخلاف في موطن لا يصح فيه الخلاف أمر خطير، وتضييق الخلاف في موطن يسع فيه الخلاف أيضًا من ضيق العقل.

فإذن كل شيء له قاعدة، فهنا الكلام في الأصول، دعوة المشركين، مفيش خلاف في التوحيد، مفيش خلاف في دعوة الجنة والنار، مفيش خلاف هيختلفوا في إيه؟ الكلام في الأصول لا خلاف فيها.

"فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ" كلمة "إليكم" كإن أنتم مخصوصين ربنا بعتنا ليكم لإن إنتم تجبرتم وطغيتم وعتيتم عن أمر الله –عز وجل– فأرسلنا الله خصيصًا إليكم "إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ".

"قَالُوا" برضو استمروا على التكذيب بالرغم من التعزيز وبالرغم من وضوح الآيات، "قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ" يس:15، قالوا ثلاث جمل، لما بدأ التعزيز ييجي بدأ الوضوح في الدعوة يظهر فلم يكتفوا بالتكذيب، يعني لما كانوا اتنين ربنا قال إيه "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ" يس:14 قال إيه؟ اكتفوا إن هو يكذّب، لا مش مصدقين وخلاص، التكذيب إذ أنه لا يصدق لكن لا يلزم من التكذيب الرد، لأن بقول شبهات يعني

لما واحد تدعوه ويكذب بما تقول مش معنى إنه كذب إنه قال شبهات ضد ما تقول، لأ، معنى أنه بدأ يقول شبهات ده صد، أضاف إلى التكذيب الصد..

لذا قال الله عز وجل "الَّذِينَ كَفَرُوا.." سورة النحل "وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ" النحل:88، ففي ناس بتكفر فقط، وفي ناس بتكفر وبتصد.

لما جه الرسول الثالث والتعزيز بدأ يحصل أثروا في المجتمع وبدأ فعلًا التعزيز له أثر في المجتمع، قالوا لأ مش هينفع نكتفي بالتكذيب لازم نضيف الصد والشبهات، فبدؤوا يقولوا كلام "قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا" يس:15.

أول شبهة: إنتم مجرد بشر، والاحتجاج ببشرية الرسل ده أمر يعني تكالب عليه غالب الأمم على طول، وكإن دي الحجة الثابتة لهم، أول حاجة إن أنتم بشر..

ولو كان ربنا أنزل ليهم ملايكة كان يقولك مينفعش، الدين ده مينفعش يطبق لإن إنت ملك ولو إنت بشر زينا إنت مش حاسس باللي حاسين بيه، إنت بتقول كلام ما بطبقوش، يجي لهم بشر يقولك لأ، احنا عايزين ملايكة ولو جاء لهم ملايكة يقولك لأ، احنا عايزين بشر..

لكن سنة الله –عز وجل– من سنة الله –عز وجل– في عباده أن أرسل إليهم بشر، وهذا الذي يصلحهم، ولو ربنا كان نزل ملك وجعله على صورة بشر هيقولوا ده إنت بشر "وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ" الأنعام:9 زي ما شرحنا بالتفصيل في أول الأنعام، ولو نزل ملك في صورته لن يستطيعوا أن يبصروه، ولو رأوه على صورته لاحتجوا وقالوا لك: لأ، ده ملك ونحن بشر عايزين بشر، هم دائمًا يراوغون "قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا" يس:15، الاحتجاج بالبشرية دائمًا أول دافع بيدفع به الأقوام المكذبة.

ثم قالوا حتى لو بفرض أي كان الأمور "وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ" يس:15 خد بالك من الجملة دي "ما أنزل الرحمن" وكأنهم يقولون للناس نحن مؤمنون بالله، نحن مؤمنون بالرحمن، ولكن هؤلاء ليسوا من عند الرحمن، والرحمن لم ينزل شيئًا، يعني كأنهم بيقولوا لإن الكبراء دائمًا يتكلمون إمتى؟ إمتى الطغاة كبراء المجرمين يتكلموا، إمتى؟ "كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا" الأنعام:123، أكابر المجرمين دائمًا يتكلموا إمتى؟

لما بيخافوا إن الضعفاء يروحوا منهم، لأن الطاغية وهو بيظل طاغية بعبودية المستضعفين له، فلما ييجي الرسل ينتشلوا المستضعفين منه، ويأخذوهم لطاعة الله –عز وجل– خلاص بيزول ملك، بيزول ملكهم، فبيبدأ الكبراء يخافوا أول أما تيجي الدعوة وتتضح وتنتشر يبدأ يخاف ويتكلم، ليه؟ لإن بيخاف على ملكه.

وفرعون لم يتكلم إلا حينما خاف على ملكه، طول ماهو مش خايف مش مهم، أول أما بدأ يخاف على ملكه بدأ يتكلم وتطور كلام فرعون، اتكلم الأول مع خاصة الخاص، وبعدين مع الخاصة وبعدين مع القوم على ما سنبين إن قدر الله –عز وجل– لنا في سورة غافر إنه مرة يقول "يا أيها الملأ" ومرة يقول "ياقومي" يعني على حسب النداءات

بتختلف على إحساسه بالخطر، على مقدار إحساسه بالخطر، ونزولهم للناس وكلامهم مع الناس على قَدْر إحساسهم بخطورة نزع الملك، السلطان من تحت أقدامهم.

"قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا" يس:15 فكلمة "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا" طب إشمعنى أنا؟ إشمعنى إنت؟ إشمعنى يعني ليه ربنا يختارك وما يختارنيش؟

وثانيًا الرحمن ما أنزلش حاجة، خد بالك من كلمة "الرحمن"، ما قالوش "ما أنزل الله من شيء" قالوا ما أنزل الإيه؟ الرحمن، كأنهم يريدون أن يقولوا ما تقولونه ينافي الرحمة، الرحمن لم يتكلم بهذا الكلام، إنتم جايين تقولوا لنا آمنوا لو ما آمنتوش هتتعذبوا، هذا ينافي رحمة الله، يا واد يا مؤمن يعني هذا ينافي دائمًا هو دائمًا لازم يتهمك بالتشدد، وإن اللي إنت بتقوله خالٍ من الرحمة، لازم ودائمًا أشهر تهمة يتهم بها كل من يريد يتهم بها كل من يريد الإصلاح إنه متشدد وإن ما يقوله ينافي الرحمة.

فقالوا: "مَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ" يس:15 ما تقولونه أنتم ينافي رحمات الله –عز وجل–، فبالتالي الرحمن لم ينزل شيئًا، وكأن الرحمن على قولهم يريد للناس أن يفعلوا ما يشاؤوا، وكلمة "مَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ" يس:15 مش مثلًا ما أنزل الرحمن ما تقولون ولكن الرحمن أنزل كذا وكذا، لأ، الرحمن ما أنزلش حاجة، يعني الحياة تبقى عبث، هل الرحمن يريد للناس –والعياذ بالله– أن يعبثوا في الحياة؟ يفعلون ما يشاؤون ولا يحاسبهم الله –عز وجل–، هذه ليست رحمة هذا عبث.

اللي عايز يعمل أي حاجة تيجي تكلمه وتخوّفه يقولك ربنا غفور رحيم، ده عبث دي مش رحمة، الرحمة من كمال العدل، لأن ربنا –سبحانه وتعالى– يرحم المطيع، ومن كمال رحمته أن يعذب العاصي، لإن كده هيسوي بين العاصي والمطيع.

فناس معتقدة إن هو يعمل اللي هو عايزه يقولك أصل عادي ربنا هيغفرلي، ربنا يساوي "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" القلم35:36، إزاي يعني؟ إزاي يساوى ده بده؟

فقالوا بعد ما قالوا "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا"يس:15 وزينا زيكم مفيش فرق.

الشبهة الثانية "مَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ"يس:15، الثالثة نتيجة بما إن أنتم بشر زينا وبما أن الرحمن ما نزلش حاجة ومانزلش ملايكة إذًا أنتم كاذبون وأخطر تهمة يحاول دائمًا أهل الباطل إثباتها على المصلحين الكذب لأنه لو قال أي تهمة ثانية ممكن بكلامهم ينفوها لكن لو حاولوا يثبتوا للناس إن المصلحين كاذبون دي الخطورة لأن ما حدش حيصدقك حتى بدفاعك عن نفسك لن يصدقك،فأخطر تهمة تهمة الكذب لذلك أخطر شيء يقع في المصلح أن يكذب خلاص بيسقط تمامًا،بيسقط تمامًا لو كذب والعياذ بالله فأخطر حاجة مسألة الكذب، لأن هو الدعوة إيه غير تبليغ عن الله لذلك هم معصومون من الكذب الرسل، الدعوة إيه غير تبليغ عن الله، فلو اتهمك بالكذب خلاص أي كلمة حتقولها الناس مش حتصدقك.

فجابوها هنا بصيغة الحصر والقصر قالوا إن أنتم إلا تكذبون كإن المعنى كل كلامكم كذب في كذب ما بقولوش حاجة صح، والعجيب أن أن هذه التهمة يتهم بها الصادق الأمين –صلّى الله عليه وسلم– يعني أنتم كنتم تقولوا عليه صادق والآن تقولون عليه كاذب، لأن المثل مضروب لقريش فلما قالوا الثلاث جمل "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا"يس:15وخد بالك إن الثلث جمل جات منفية و فيها حصر يعني بيتكلموا بقمة الثقة "مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ– مش ما أنزل الرحمن شيئًا– ما أنزل الرحمن من شيء–ومن دي كمان للنفي– إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ"يس:15 ثلاث جمل منفية ثلاث شبهات.

قالوا إيه ما استفاضوش معاهم في الكلام هم على يقين وإحنا قلنا أهم حاجة في الواقع ده أنك تكون يقين "قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"يس:16 وفي الأول قالوا"فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم –إيه الناس إلي معاها مصاحف أو الناس إلي حافظة قالوا إِنَّا إِلَيْكُم مش لمرسلون– إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ"يس:14 من غير اللام المرة الثانية "قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا– بالتأكيد–إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"يس:16 حتى علماء البلاغة بقولوا كلما زاد الإنكار زاد التوكيد، كل ما إنكارهم يزيد كل ما أنت لازم تزود في المؤكدات بتاعك، فإنكارهم لما زاد واضافوا الشبهات إلى التكذيب زاد تأكيد الرسل " إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"يس:16.

طب يعني إيه " رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"يس:16؟

وكأن الرسل يقولون نفوض أمرنا إلى الله سينصرنا الله قطعًا، هو يعلم صدقنا ولن يتركنا فكإن ده فيه تهديد، مش أنتم بتقولوا علينا كذابين طيبب شوفوا ربنا حيعمل إيه، الله يفصل بيننا وبينكم ، ربنا يعلم صدقنا ولن يتركنا وسيشهد لنا بفعله سبحانه وتعالى أننا على الحق.

ثبات أهل الإيمان دائمًا يهز أهل الباطل لكن اضطراب أهل الإيمان يدي ثقة عند أهل الباطل،ثبات أهل الإيمان دائمًا بيجعل أهل الباطل يترددون لما سيدنا موسى وقف قدام فرعون قال " إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ " يعني مش يقولوا إنا رسولا ربنا " إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ " جاي لك من عند سيدك " فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ "طه48:47 سيدنا موسى بقوله إحنا جايين لك من عند سيدك عشان نأخذ بني اسرائيل ولو سمعت الكلام مش حتتعاقب ولو ما سمعتش الكلام حتتعذب " إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا " سيدنا ومولانا أخبرنا أن من عصاه أهلكه " أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ"طه:48 فرعون لما سمع الكلام ده هما اثنين جايين في أمام ملكه وحاشيته وقصره ويقولون هذا الكلام "قال فمن ربكما يا موسى" مين أنتم متسندين على مين؟ إنتم تبع إيه؟ خاف الثبات ونفس الموقف حصل مع السحرة خوفهم موسى عليه السلام "أن يسحتكم ربكم بعذاب فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى" أول ما خوفهم سيدنا موسى حصل تنازع بين السحرة مع بعض وقعدوا يقولوا حنتصرف إزاي " وأسروا النجوى" فطلع بعضهم وثبت بعضهم البعض.

الشاهد إن دائمًا ثبات أهل الإيمان وعدم تنازلهم وثبتاهم على مبادئهم دي من أهم أسباب زلزلة الباطل مجرد الثبات حتى الموت ده نجاح، حتى لو قتل أهل الحق ثباتهم على الحق حتى الموت هذا هو النجاح وزي ما قلنا لما تقول فزت بالرغم من إنه مات لكنه مات صادقًا لم يبدل ولم يغير فقال فزت ورب الكعبة.

"قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"يس:16 وعامةً " وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ"يس:17 يعني إيه وما علينا إلا البلاغ المبين؟ بقولوا لهم وظيفتنا معاكم البلاغ المبين نفهم وظيفتهم ونفهم إيه إلي مش عليهم. أصل كلمة وما علينا إلا يعني فيه حاجات عليهم وحاجات مش عليهم.

إيه اللي عليهم وإيه اللي مش عليهم؟ اللي مش عليهم العقاب والإهلاك والإجبار دي مش بتاعتهم، "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ " القصص:56، فكأنهم بيقولوا إحنا دورنا إن الدنيا تبقى واضحة، ممكن بعد ما تبقى واضحة ناس ماتؤمنش؟ ممكن، يعني مش معنى عدم إيمان الناس قلة وضوح الآيات أبدًا، ممكن تبقى الدنيا واضحة جدًا ولا يؤمنوا فيقوم إحنا دورنا البلاغ المبين.

عاقبة ذلك، متى ينزل العقاب؟ متى ستعاقبون، هل ستنزل صيحة؟ هل صاعقة؟ هل خسف؟ هل تُؤَجلون دي مش بتاعتنا، إحنا دورنا اللي ربنا هيحاسبنا عليه البلاغُ المبين، عاقبة ذلك يعلمها الله ولا نعلمها ونحنُ ننتظر ذلك كما أنتم تنتظرون ذلك، لكن الدور المنوط بنا البلاغ يعني أن تبلغ دعوتُنا إليكم وإلى كل فرد منكم الوصول، فلن تحولوا بيننا وبين هذا الوصول.

وسائل أهل الباطل في منع الدعاة عن دعوتهم

ودايمًا أهل الباطل غرضهم عمل حُجُب بين الدُعَاة والناس زي ما ربنا –عز وجل– قال كده وسائل منع الدُعَاة، الوسائل اللي بيستعملها أهل الباطل ليمنعوا الدُعاة عن الوصول للناس، لما في سورة الأنفال لما أرادوا أن يمكروا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– :"وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ" الأنفال:30، يثبتوك يعني يربطوك، تبقى ثابت في مكانك أيًا كان الثبات في مكانك ده مش عايزينك تتحرك وسط الناس.

الثبات في المكان ده بالحبسِ بالضربِ بالجرحِ إنما إن هو يكون ثابت لا يتحرك، يبقى من أغراض أهل الباطل عدم تحرك الداعية وسط الناس "يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ" الفرقان:7، الداعية يمشي بين الناس، "لِيُثْبِتُوكَ" الأنفال:30.

لو فشل إنه يخليك ثابت يقتلكَ، لو فشل في القتل يُخرِجَك.

دور الدعاة هو البلاغ المبين

– المقصود بالبلاغ

الشاهد إن هما بيقولوا إحنا علينا إن إحنا نبلُغ لكل فرد ولكل مكان فبلغت دعوتهم أقصى المدينة، "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس:19، في نفس الآيات هيقولهم إحنا علينا "الْبَلَاغُ" يس:17، وبالفعل فعلوا البلاغ لذلك

ربنا قال هنا وجاء إيه؟ "مِنْ أَقْصَى" بالرغم إن الآيات بدأت بالقرية وهنتكلم على دي "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ" يس:13، جه ، قال: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ" مقالش من أقصى القرية فانتشروا في دعوتهم وبلغوا أبعد من القرية ووصلوا لأقصى المدينة مش للقرية فقط، ده البلاغ.

-ما معني المبين؟

النقطة التانية: "الْمُبِينُ" يس:17، يعني إيه المبين؟ يعني الواضح مش بس بلاغ، يعني مش أروح أرمي المعلومة وأمشي ده المعلومة توصل وواضحة، ده دور الدُعاة ببساطة الوصول الواضح، البلاغ المبين، إذا فعل ذلك الدُعاة برئَت ذمتهم، دورهم الوصول، يبقى لو فيه بيُحال بين الدعوة وبين الناس لسه الدُعاة لم يقوموا بدورهم، لم يقوموا إما مقصرين أو ممنوعين ولهم الأجر لكن دورهم وصول الدعوة إلى ووصول إيه؟ بَيْن الناس تفهمه، بلاغ إيه؟ مبين واضح، لذلك أول ما قال: "وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" يس:17.

شبهات على طريق الدعوة

- الشبهات القدرية... يربطون الابتلاءات بمجيء الرسل

فقاموا بالفعل بما عليهم معروفوش بقى يقولوا شبهات، قالولهم بصوا "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ " يس:18، إحنا زهقنا منكم معدوش عارفين يردوا علىهم، معدوش عارفين يردوا على الرسالة وعلى الكلام، بدأوا يلجأوا إلى الشبهات القدرية، مش الشبهات الكلامية، يعني كانوا بيجيبوا شبهات في الشرع، انتوا مش رسل، إنتوا بشر، الرحمن منزلش ده ينافي الرحمة، لما فشلوا في ده واستمر الدُعاةُ في الدعوة بدأوا يلجأوا لحاجة تانية "قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ " يس:18.

خد بالك الكلام ده قالوه إمتى؟

قالوا بعد البلاغ المبين مباشرةً، يبقى أهل الباطل الأول بيلجأوا لتكذيب الرسل، لو فشلوا بيلجأوا لشبهات على ما يقوله الرسل، لو فشلوا يلجأوا لأقدار تحيط بما يقوله الرسل، مش في الكلام في الأقدار، يعني إيه؟ "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ " يس:18، يعني إيه؟ غالب المفسرين على إن معنى الكلام إن ربطوا بين الابتلاءات اللي بتحصل في الواقع وبين مجيء الرسل.

-من سنة الله الابتلاء عند تكذيب الرسل وليس الإهلاك

الله -عز وجل- من سنته إنه لما بيُرسل أو تأتي النذارة إلى ناس ولا يؤمنوا ينزل عليهم ابتلاءات كما قال الله -عز وجل-: "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ" الأعراف:94، كأن ده سُنة "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ" أي بعد أن يأتيهم النبي فيُكَذِبُوه نأخذهم "بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ"، يعني من رحمة ربنا إن لما بييجي النبي وبيكذبوا مبيجيش الإهلاك لأ يديهم فرصة ابتلاءات زي ما حصل مع قومِ فرعون، جه سيدنا

موسى –عليه السلام– وراهم الآيات أعرضوا ابتلاهم سنين، "الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ" الأعراف:133، يعني إيه "مُّفَصَّلَاتٍ"؟ يعني ما بين كل ابتلاء وابتلاء فاصلة زمنية حتى يعتبروا ويتفكروا.

– الابتلاءات حتى يعودوا إلى الله

يعني من رحمة ربنا إنه إداهم ابتلاءات كتير وفرصة يفوقوا ومافقوش فينزل العذاب، فمن رحمة ربنا أو من سُنن الله ييجي النبي يُكذبوه، يأتي البلاء يكذبوه، إما أن ينزلَ العذاب أو زي في الأعراف "ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ" الأعراف:95، يعني إيه؟ يعني اللي بيحصل ده عادي آبائنا كانوا كده بردوا شوية ضراء وشوية سراء وإيه اللي حصل يعني؟ فلما جُم الرسل وكذبوا ابتلاهم الله –عز وجل– أهل القرية بابتلاءات عشان الابتلاءات دي تخليهم يقولوا إيه، يقولوا يارب، يعني ربنا ابتلاهم وضيّقَ عليهم في الأرزاق حتى يقولوا يارب، حتى يعودوا إلى الله –عز وجل–.

يقوم الناس يستغلوا بقا الكُبراء يستغلوا هذه الأقدار يقولوا للناس شايفين طول عمرنا كنا عايشين كويس محصلش بلاء غير لما الناس دي جت، طول ما إحنا عايشين من غير الكلام اللي بيقعدوا يقولوه ده كانت الدنيا ماشية كويس، أول لما ييجي الكلام في الدين شوفوا الابتلاءات وأول لما قالوا رسُل ودين وحلال وحرام شوف الابتلاءات جت علينا إزاي؟ "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ" يس:18، أي تشاءمنا بكم وتشاءمنا بمجيئكم،

بل قال مجاهد في تفسير الآية "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ" يس:18، "إن لما شافوهم قالوا أنتم لم تدخلوا في قرية إلا وينزلُ عليها العذاب، لم يدخل مثلكم في قرية إلا عُذِبَ أهلُها" يعني بيقولهم إنتوا لما بتروحوا مكان بينزل عذاب فيه.

–الابتلاء بسبب تكذيب الرسل وليس بسبب مجيئهم

طب ما هو العذاب بينزل ليه؟ عشان همّ راحوا المكان ولا العذاب بينزل ليه؟ عشان التكذيب، مش عشان همَّ راحوا بالعكس "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" الأعراف:96، فهمَّا استغلوا حدث بيحصل فعلًا لكن جابوا سبب مخالف! هو سبب نزول العذاب التكذيب، وده بقى اللي ربنا قال عليه إيه؟ "إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا" يونس:21، "إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا" فصلت:40.

استغلال أهل الباطل لآيات الله وتخويف الناس من الدين

ربنا بيعمل آيات عشان الناس تتوب يقوم أهلُ الباطل يستغلوا الآيات دي ويمكروا فيها ينسبوها لغير الله ويستفيدوا منها، يستغلوها لصالحهم، يعني ربنا عمل الابتلاءات القدرية دي عشان الناس تتوب وهما يقولوا أه دا ده بسبب الدين وإن لو بطلنا نتكلم في الدين الدُنيا هتمشي كويس فلما فشل زعماء الباطل إن يصرفوا الناس عن الدعوة بالشبهات في الرسالة بدأوا يجيبوا إيه؟ يخوفوا الناس على أرزاقهم، ودي أكتر حاجة تخوف الناس من الدين، إنه يقولهم خدوا بالكم، لو مشيتوا وراهم هتُبتلوا في الرزق وكل حاجة هتبوظ وراحتكم بقى.

إيذاء أهل الباطل للرسل حفاظًا على مصالحهم

"إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ" يس:18، انتوا سبب الشؤم والمصيبة في البلد وعشان نحافظ على البلد هنموتكم "لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" يس:18، لام القسم أي والله "لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" قيل "وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" قبل الرجمِ يعني هنعذبكم الأول تبقوا عبرة للناس وبعدين نربطكم في مكان قدام الناس ونرجمكم حتى تموتوا، شوف الخوف من انتشار الدين إن هما خايفين على مصالحهم الشخصية، أهل الباطل، وجود الباطل يحافظ على مصالحهم الشخصية.

غالب الصراع من لحظةِ البداية هو صراع على الدنيا

زي ما قلنا دايمًا غالب الصراع من لحظةِ البداية هو صراع على الدنيا، صراع اقتصادي، صراع على الدُنيا، من أول ما الشيطان قال لسيدنا آدم –عليه السلام– خوفه قاله: "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" الأعراف:20، بيقوله طاعة ربنا هتمنعك عن المُلك.

وفي مكة لما جه النبي –صلى الله عليه وسلم– خافوا على ملكِهم، خافوا على الزعامة، صراع اقتصادي أولًا خافوا، ما هو قبيلة قريش حط أصنام حوالين الكعبة، كل صنم بتاع قبيلة ده مخليهم معاهم إلف وإيلاف مع كل القبائل، هما القبيلة الوحيدة اللي بيسيروا من مكة لليمن ومن مكة للشام بغيرِ أذية في وجود الأصنام هتيجي إنتَ هتشيل الأصنام هتبوظلنا علاقتنا بالناس، هتبوظ التجارة، هتبوظ سدنة البيت، هتاخد كل ده مننا! مينفعش، نظامهم كله هينهار فرفضوا، رفضوا ذلك وأبَوا لمصالحهم، فالزعماء بيخافوا على مصالحهم فبيرفضوا، فقالوا: "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ " يس:18.

رد الرسل على شبهات وتهديد أهل الباطل

–أن العذاب بسبب ذنوبهم هم

هددوهم بالقتل فماذا فعل الرُسل؟ الآية اللي بعدها علطول انصرفوا؟ ردوا بالرغم قاله لو مسكتش هقتلك تكلم الرسُل "قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ " يس:19، ردوا على الشُبهة القدرية، "طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ" أي ما يحدث من عقوباتٍ بسببكم وبسبب ذنوبكم ومعكم أينما حللتم، لو سبتوا القرية دي ورحتوا مكان تاني وفضلتوا مشركين هينزل عليكم العذاب أينما كنتم ولن تستطيعوا أن تفروا من قدر الله.

أي مكان هتروحوه هينزل عليكم العذاب لأنه بسبب ذنوبكم طالما أنتم مذنبون سينزل عليكم العذاب خلاص مش هتهرب من ربنا، مش هتعرف تروح من ربنا في أي مكان "قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ" إحنا بقى خرجنا، إحنا فضلنا، إحنا سكتنا، إحنا اتكلمنا، عذابكم هينزل، العقوبة هتنزل، هربتوا وسبتوا البلد، فضلتوا في البلد العقوبة ستنزل عليكم الآن، بعد فترة، متأخرًا، العقوبة ستنزل "قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ" متجيبوهاش فينا، الموضوع فيكم انتوا.

– لماذا تربطون العذاب بالدين ولا تربطونه بمعاصيكم؟

"أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ" يس:19، يعني دلوقتي بتربطوا ما بين الابتلاءات والدين؟! دلوقتي تيجي تربط ما بينها وبين الدين، طب ما من غير دين كان بيحصل ابتلاءات، ليه مكنتش بتربطها بالمعاصي؟! "أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ" يس:19، تطيرتم بنا! لما نيجي نكلمكم عن ربنا تخافوا وعايزين تخوفوا الناس؟! "أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ" يس:19، يعني أَلِأجلِ أن ذكرناكم بالله تتشائمون، حد يتشائم من دين ربنا –سبحانه وتعالى– إزاي؟ إزاي تنسبوا الابتلاءات اللي ربنا بينزلها لوجود الدين، بل سببها غياب الدين.

– ودايمًا أهل الباطل كده

يحصل ابتلاء ومفيش دين يقولك ده عادي "مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ" الأعراف:95، ده بيحصل عادي في أي بلد بتمر بمراحل ابتلاءات، تيجي تكلمهم عن الدين ويحصل بلاء يقولك شفت البلاء بسبب الدين! هو كده، يعني لما تيجي مصيبة "يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ" الأعراف:131"فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ" الأعراف:131، يعني لما تيجي الحسنة يقولك ده عشان إحنا كويسين ولما تيجي مصيبة يقولك بسبب الدين، هو يُفسر الأشياء على هواه، على شهواته، يفسر الأمور على مزاجه عشان يخوف الناس من السير في طريق الدين فقالوا: "طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ " يس:19، أي لأجل أن ذكرناكم تتهمون الدين؟!

– مواجهة أهل الباطل بأخطائهم

"بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" يس:19، شوف الخطاب مكنش قبل كده بيواجههوهم بأخطائهم، الرسُل كانوا يقولوا إيه؟ إحنا مُرسَلين، إحنا بيتكلموا عن نفسهم، إحنا علينا البلاغ المبين لكن لما بدأ "إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ" والتهديد مخفوش! قالوا "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" يس:19، أيوه انتوا مسرفون، أي أنتم تُصرون على الإسرافِ، انتوا مش بس بتعصوا ده انتوا مسرفين في المعاصي!

وهذا الإسراف سبب لنزول العذاب عليكم، "بَلْ أَنْتُمْ" وبعدين "بَلْ أَنْتُمْ" إيه ؟ مقالش بل أنتم مسرفون قال: "بَلْ أَنْتُمْ" إيه؟ "قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" يعني كأنكم كلكم القوم بتوعكم على الإسراف مفيش ولا واحد فيكم يقوم يدعو إلى الله، مفيش ولا واحد فيكم يسمع الكلام "بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" وهذا كافي في سبب نزول العذاب عليكم.

اللحظة هنا احتدم الصراع، خلاص معرفوش معدوش عارفين يقولوا إيه، التكذيب ماجبش معاهم نتيجة، الشُبهات ماجتش معاهم نتيجة، الشبهات القدرية ماجبتش معاهم نتيجة، المرحلة التالتة كانت الشُبهات القدرية، المرحلة الأولى التكذيب، التانية الشبهات في الرسالة، التالتة الشبهات القدرية، الرابعة التهديد بالقتل، دي أربع مراحل مرت معاهم، الأربع مراحل ماجبوش معاهم ومستمرين، بلاغ مبين، تعزيز مع بعضهم البعض، قوة ووضوح، يوصلوا للناس يبينوا الحق لا يخافون.

إرسال الله لجنوده لحظة احتدام الصراع

احتدم الصراع خلاص هينفذوا بقى التهديد، في اللحظة دي "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" المدثر:31، ربنا يبعت رجل "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس:20، الله –عز وجل– يغرسُ لهذا الدين بيديه –سبحانه وتعالى–، أنت لا تعلم مين اللي هينتفع بكلامك؟ من اللي هينصر هذا الدين؟ أنت لا تعلم، إنتَ عليك البلاغ المُبين، من هيحمل الدعوة؟ من هيحمل الدين؟ ده ترتيب من ربنا –سبحانه وتعالى– كما دبر الله –عز وجل– للناس أرزاقهم كذلك يُدبر وصول الدين إليهم –سبحانه وتعالى–.

إنتَ تقوم باللي عليك وربنا –سبحانه وتعالى– يُدبر، أنت لا تستطيع أن تتخيل كيف تسير الأمور أبدًا، آخر واحد ممكن تتوقع إنه يسلم، ممكن يبقى هو جندي من جنود الله، آخر مكان تتوقع إنه ييجي منه الخير، يعني هما مركزين في القرية، الخير ييجي من أقصى المدينة من أبعد مكان وفي اللحظة المناسبة زي ما في اللحظة المناسبة ييجي الرجل اللي حذر سيدنا موسى –عليه السلام– "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ" القصص:20، وفي اللحظة المناسبة ظهر مؤمن آل فرعون وتكلم أمام الملأ "إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ" القصص:20، وهنا أيضًا في اللحظة المناسبة جاء رجل، حينما ما هَمَّ القوم بقتل الرسل يعني آخر خلاص وسيلة بيوصلها أقتلكم.

كن عندك ذاتية في التحرك لدين الله

"وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، لاحظ هنا إن جاء بنفسه مانتظرش إن الرسُل يروحوا ينادوا عليه، هنا لازم في وسط أجواء انتشار الظلمات يكون فيه ذاتية عند الناس، محدش يقول الدنيا كلها ضلمة والدنيا كلها باطل، المجتمع طال عليه الأمد، محدش يقول أصل أنا محدش قالي أعمل إيه، أنا محدش قالي أنشر الدعوة إزاي؟ محدش علمني، إنت تبحث وإحنا قلنا في أول الآيات المجلس اللي فات "إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ" يس:11، مش من تبع "مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ" يس:11،

قلنا في هذه الأجواء الوصول للحق يحتاج إلى مجهود، "مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ" يس:11، وهنا قالولهم لما جه يعرفهم إن الموضوع محتاج تعب "قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، ابذلوا مجهود، اتبعوا المرسلين، فهو اللي جه بنفسه عنده ذاتية، مانتظرش حد يقوله أعمل إيه.

معرفش أنا قولك اعمل إيه، خَذِل عنا ما استطعت، فكر في أي حاجة تعملها، وإنتَ جاي تصلي هات واحد، كلم جارك، علم أولادك، اِعمل أي حاجة، إنتَ لازم تتحرك، لازم ذاتية، فالرسل هنا مش هما اللي قالوله يعمل إيه، منتظرش إلا لما الرسُل ييجوا جنبه ويعملوا مُجمع إيماني ويعلموه ويقعدوا معاه عشر سنين وبعدين يقولوله يلا بقى اتحرك، لا هو اتحرك من نفسه، لازم ذاتية.

ولن ينتشر الدين إلا بهذه الذاتية

وكأن أيضًا رسالة للمؤمنين في هذا الوقت اِتحرك، قم بدور، قُم انشر الدين، الرسول هيعملك إيه؟ هو بيتحرك واِنتَ اِتحرك، دافع عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، اِتحرك وقد كان ذلك الصحابة –رضوان الله عليهم– فقال الله –عز وجل–: "وَجَاءَ" بنفسه، لم يطلبوه "وَجَاءَ"

لطيفة تقديم "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ"

ثم قال ترتيب الجملة الطبيعي فعل فاعل، وجاء رجل لكن هنا ربنا –عز وجل– بيقول: "وَجَاءَ" إيه؟ "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى" قدَّم كلمة من أقصى المدينة ليه هنا التقديم؟ بعض العلماء قال لطائف كثيرة منها:–

1. دليل أن الدعوة وأن جهدهم وصل إلى أقصى المدينة

إن الرسُل اجتهدوا في الدعوة حتى بلغت دعوتهم أقصى المدينة

2. أو من توفيقِ الله –عز وجل– أن حمل دعوتهم إلى أقصى المدينة

3. وإن القرب أو البعد من الرسل لا يضر

زي ما ابن القيم –رحمه الله– بيقول: "آمن النجاشيُ ولم يرَ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– وصلى ابن سلول خلف النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يؤمن" بيصلي في الصف الأول ابن سلول ومآمنش! والنجاشيُ آمن –رحمه الله– ولم يرَ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–، القرب أو البعد لا يضر، القضية في الإيمان وده من توفيق الله –عز وجل– إنه يهدي أقوام بعيدين، النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: "إن خيرَ التابعين رجلٌ يقالُ له أويسٌ" صحيح مسلم، أفضل التابعين، سبق كل التابعين ولم يرَ النبي –صلى الله عليه وسلم– والتابعي الذي لم ير النبي –صلى الله عليه وسلم– قصدي كان بعيدًا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– كل ده عشان كان بارًا بوالدته، له أُمٌ هو بارٌ بها، سبق كل هؤلاء، إذًا القُرب أو البُعد لا يضر.

لماذا قيل مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ؟

أيضًا قيل "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ" ليه؟ دايمًا القُرى الرئيسية والأماكن الرئيسية والمحافظات الرئيسية أهل الباطل بيسيطروا عليها، كنا قلنا المعنى ده في قول الله –عز وجل–: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ" الأنعام:123، كل قرية كل تجمع مش المقصود بيه هنا بكلمة قرية إن التجمع السكن اللي جنب المدينة، لأ هو تجمع سكني استقروا فيه غير البدو والبدو فيه ترحل القرية فيه استقرار، المدينة أوسع، تحرير المصطلحات ده يحتاج إلى أبحاث طويلة،

الشاهد إن ربنا –عز وجل– يقول: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا" الأنعام:123، كل قرية مركزية الأكابر بيتجمعوا فيها ويسيطروا على ثرواتها لذلك أغلب الدول تجد إن الحرامية متركزين في العاصمة، أماكن التجارة بيركزوا عليها ينتشروا فيها، الأماكن البعيدة دي بتبقى أماكن هادئة فبيستطيع الناس إن هما بيتحرروا من الضلال الإعلامي والإضلال بتاع الرؤساء والزعماء.

مهما بذل أهل الباطل تستيقظ فطرة الناس عند سماع القرآن

تاني، إحنا كنا قلنا في سورة سبأ إن من أهم أسباب صرف الناس عن الدين مكر الليل والنهار اللي بيقوم بيه المستكبرين ضد المستضعفين، وإن بيحصل بينهم خناقة في النار، ولا يفيق غالب المستضعفين إلا في جهنم –والعياذ بالله–، جينا في سورة فاطر قلنا مهما فعل المستكبرين ستظل الفطرة محفوظة، نيجي في سورة يس نموذج لإيقاظ هذه الفطرة عند أُناسٍ ابتعدوا عن هذا الضلال لذلك هنا بيقول: "وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي" يس:22.

ذكر الفطرة الثابتة فيه إن مهما بذل أهل الباطل لصد الناس عن الدين الفطرة بتاعتهم حينما يستمعون إلى القرآن تستيقظ فجاب أقصى المدينة، الناس اللي بعيدة عن مواطن الصراع وتركُز الرؤساء بعيد عنهم.

لذلك قال قتادة "كان يتعبد في غار في أقصى المدينة" ودي العبادة اللي أثمرت عمل يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– لما كان يتحنث الليالي ذواتِ العدد كانت زادًا للعمل والنزول مش مجرد إعتزال للناس يعني الأولى خلطة الناس "الَّذي يخالطُ النَّاسَ و يصبِرُ على أذاهُم ، خيرٌ مِن الَّذي لا يخالِطُ النَّاسَ و لا يصبِرُ على أذاهُمْ" صححه الألباني، فهنا ربنا –عز وجل– بيقول: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ" يس:20، فكلمة من أقصى المدينة تدل على انتشار الدعوة، أن الله –عز وجل– يهدي من يشاء حتى لو بَعُد، إن الأماكن البعيدة قد تكون أثمر في الدعوة

4. تدل أيضًا رابعًا على المجهود الذي بذله هذا الرجل حتى يأتي

كل ده ليه كلمة من أقصى المدينة قبل رجل، تدل على المجهود اللي بذله إنه مش نزل من بيتهم مشي خطوتين وجه يدعو لأ ده أتى مسافة طويلة جدًا، "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا" يس 20: 21.

الآذان، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمدًا –صلى الله عليه وسلم–.

إذًا قال الله –عز وجل–: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس:20، ذكرنا كلمة تقديم "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ" على "رَجُلٌ" انتشار دعوتهم، القرب والبعد ليس شرطًا للهداية، المجهود الذي بذله حتى يصل، وجود الجو الهادىء في الأطراف بعيدًا عن محاور الصراع أفضل لبدايات التربية،

لكن كما قلنا هذه العبادة، اللي كان منعزول فيها بعيدًا عن الناس أثمرت عملًا وهي دي العبادة الصحيحة، العبادة التي تُثمر مزيدًا من الإنعزال في وقتٍ لا يجبُ فيه الإنعزال دي خطر إلا في وقت اضطر فيه الإنعزال فقد استحب الشرع ذلك في مواطن معينة أو هتبقى خاصة بهذا الشخص لكن الأولى أن يخالط إما الذي لا يستطيعُ ألا يصبر ويُفتن خلاص ممكن ينعزل.

الأعمال هي التي تخلد ذكر الإنسان

فقال الله –عز وجل–: "وَجَاءَ" بنفسه لم ينتظر، "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ" لم يذكر اسمه ولكن ذكر وصفه، لم يذكر اسمه ذكر "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ" هذا البذل، ذكر وصفه، ذكر بذله ووصفه وفعله ومقاله، أربع حاجات، ذكر بذله "مِنْ أَقْصَى"، ووصفه "رَجُلٌ"، وفعله "يَسْعَى"،

ومقالَهُ "قَالَ يَا قَوْمِ" بهذه الأشياء خلدَ ذكره، لا باسمه ولا بنسبه، فبالأوصافِ أو فبالبذل والأوصاف والأقوال والأفعال تُخلد الذكرى ويرضى الله –عز وجل– عن العبدِ لا بالأسماء وبالأنساب، القضية ماذا قدمتَ لدين الله –عز وجل–، ماذا بذلتَ، القضية مش اسمه إيه.

نصرة الحق من أوصاف الرجولة

هذا الرجل يتعلم منه الناس إلى يوم القيامة، خلدَ الله –عز وجل– ذكره في القرآن ولا نعلم اسمه، وكلها آثار مروية حبيب النجار أو..، أيًا كان الذي ذُكر في القرآن أنه رجل يكفي كلمة "قَالَ" لم يقل قالت، هي ليست أنثى نعلم أنه رجل، القضية هنا ليس ذكر، ده وصف رجولة، والتكلم في هذه الأوقات من أوصاف الرجولة، التكلمُ في هذه الأوقات ونُصرة الحقِ عند احتياجِ النُصرة في هذه الأوقات هذه هي الرجولة حقًا.

وكلمة الرجل في القرآن تحتاج إلى دراسة، الرجولة غير الذكورة، "لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ" النساء:11، ده الذكورة إنما كلمة الرجولة ذُكرت مع العبادة "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ" النور 36: 37، ذُكرت مع نصرة الحقِ، ذُكرت مع التحذير من الظلمة "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ" القصص:20، ذُكرت في مواطن تحتاج إلى دراسة، فالذي يريد أن يتخلق بأخلاق الرجولة التي ذُكرت في القرآن يتتبع هذه المواضع ويتخلق بها.

هم نصرة الدين هو الذي حرك هذا الرجل

"وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس:20، كلمة "يَسْعَى" القرآن لما بيصور لك مشهد من كلمات القرآن تستطيع أن تتخيل بقية الخلفية اللي في المشهد، هذا الرجل بداخله شيء، هذا الشيء هو الذي أنزله وجاء به من أقصى المدينة وجعله يسعى وجعله يتكلم في وقت يعلم قطعًا أنه سيُقتل، فيه شيء بداخله، فيه دافع، هذا الصدق الذي بداخله هَم الدين الذي بداخله دفعهُ دفعًا،

هذه المشاعر لما تتمكن من قلب إنسان، هذه الهِمَمْ لما تتمكن من قلب الإنسان تتعب في مُرادها الأجسام، أصل الأجسام بيكون تابع لهذه الهمة، هذه الهمة حينما تتمكن من قلب إنسان هَم الدين ونُصرةِ الحق لما تُسيطر على إنسان لا يفكر في كثيرٍ من العواقب الدنيوية لا الدينية، التفكير في العواقب الدينية أمر مطلوب.

القوة التي تعودُ على جسده بل تُقطع يدهُ اليُمنى ويفكر في الراية فيُمسكها باليسرى لا يفكر في يمينه التي سقطت لكن يفكر في الراية ألا تسقط فيمسكها بيساره، لم يفكر في يمينه التي سقطت كيف سأعيش، كيف سأفعل؟، ماذا سأفعل وأنا مقطوعة يدي؟ فكر في الراية فأمسكها باليسرى فلما قُطعت اليُسرى لازال يُفكرُ في الراية، لم يُفكر في يديه التي سقطت، هذا الدافع والذي يجعل الإنسان ينطلق لنصرة الدين دون تفكيرٍ في كثيرٍ من هذه العواقب.

الدعوة تحتاج إلى اقتحام دون تفكير في العواقب

لذلك قال الله –عز وجل– في وضعٍ مثل هذا الوضع أيضًا سورة البلد في وقتٍ يُعذبُ فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– ويُؤذى فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ" البلد 1: 2، أي يستحلون عرضك وبدنك وإيذاءك، وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ" الإيمان في هذا الوقت قال عنه ربنا –عز وجل– أنه اقتحام "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" البلد:11، والاقتحام لغةً هو إلقاء النفس بدون تفكير أو رَوِيَّة "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" وأن هذه العقبة هي صعوبة في أولها بعد كده اللذة، يجدُ الإنسانُ اللذةَ، هو أخذ القرار هو اللي صعب.

لذلك أخذ القرار لم يستطعه الوليد حينما سمِعَ القرآن أيضًا في أوائل الدعوة في سورة المدثر فقال الله –عز وجل–: " إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ" المدثر:18، دي مشكلته أنه ظل يفكر ويقدر الأمور، لو انتفت عنه هذه الخُطوة لاقتحم، فهذا الرجل جاء يسعى لم يأتِ ماشيًا يفكر يُقدم رجلًا ويؤخرُ أخرى، طب وبعدين طب لما أروح، طب هقول إيه؟ طب افرض إن حصل، طب لو مسمعوش إذا كان قالوا للرسُل "لَنَرْجُمَنَّكُمْ" يس:18، لتلت رسُل من عند الله أومال هيعملوا معايا إيه؟! وأنا من بينهم، قد تكون كلمته مسموعة عند أُناس، فتخيل هذه الأشياء لم تَجُل في صدره، الذي منعها هذه الخواطر أن تجول في صدرِهِ الصدق الهَم .

شوف تعامل الأب مع ابنهِ المريض ويقولك أن أدفع أي حاجة بس ابني يخف، تقوله ابنك مثلًا محتاج عملية في بلد معينة بره وفلوس، يقولك أي حاجة، هو لا يفكر الآن، هو كل ما يدور في تفكيره كيف يقومُ هذا الابن، هذا وأكثرُ من ذلك هو تعامل الصادق حامل هَم الدين لنُصرةِ الدين، يفكر ما الذي أبذله لينتصر هذا الدين، دي طريقة تفكير الصادقين أصحاب الهمَمْ لنصرةِ هذا الدين.

دعاهم هذا الرجل إلى اتباع المرسلين

فهذا الرجل جاء من أقصى المدينة "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى " يس:20، أي شيء يستطيع أن يقدمه يقدمه، يسعى أول لما وصل قال، قلنا بذله ووصفه وفعله السعي ومقاله "قَالَ يَا قَوْمِ"، نسبهم إلى نفسه تآلفًا، أنا منكم وعاوز الخير ليكم "يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، أقر أنهم مرسلون وده الخلاف اللي كان معاهم في الأول انتوا مش مرسلين، لا إحنا مرسلين، إنتوا مش مُرسلين، "إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ"، "رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ" يس:16.

أول ما بدأ أكد ما قاله الرسل "اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، دول مرسلين وانتوا عارفين إن هما مرسلين، "اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، مقالهمش اتبعوا هؤلاء قال: "اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" يس:20، انتوا عارفين إن هما مرسلين من الآيات التي معهم والبينات أنتم تعلمون ذلك.

دلالة تكرار كلمة اتَّبِعُوا

"اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" يس 20: 21، هنا فيه نقطتين، ذكر الآية دي فيها شيئين؛ الأول أنه ذكر زيادة في الأوصاف، ثانيًا أنه كرر كلمة اتبعوا، كان ممكن يقول اتبعوا المُرسلين من لا يسألكم

أجرًا وهم مهتدون أو الذين لا يسألونكم أجرًا وهم مهتدون، تكرار كلمة اتبعوا أي اِتبعوا أيضًا من هذا وصفه حتى لو مات الرسُل أو قُتِلَ الرسُل اتبعوا من سار على نهجهم، يعني اِتبِعُوا المرسلين واتبعوا أيضًا من فيه الأوصاف دي، إيه الأوصاف دي؟

وصفين مهمين جدًا لصدق الداعية

وده فُطِر في النفوس التحقق من صِدق الدداعية، هل هو صادق ولا كاذب، دي شيء، ده شيء مفطور في النفس، النفس لما تحب تُقيّم الداعية ده صادق ولا كاذب؟ غصبًا عن النفس البشرية بتسأل نفسها سؤالين:

- السؤال الأول: الراجل ده بيطبق اللي بيقوله
- الراجل ده عاوز حاجة من ورا كلامه

"اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا" يس:21، مش عاوز حاجة من ورا كلامه "وَهُمْ مُهْتَدُونَ" يس:21، يُطبقون ما يقولون، طبيعي النفس لما بتحب تصدق، تحب تسمع حد وعايزة تعرف بل لما يريدوا أن يشككوا في أي شيء يقولك ده مبيعملش اللي بيقوله أو ده له هدف من وراء اللي بيقوله، لما بيتحقق هذان الوصفان في شخصٍ دليلٌ على صدقه والنفس مفطورة على ذلك أن هذا صادق،

أصل هو عايز إيه؟ وبيقول للناس تصلي وهو بيصلي، صوموا وهو بيصوم، قولوا الحق وهو بيقول الحق ثم يتعرض لكل هذا ولا يطلبُ مالًا، طب هو عاوز إيه؟ ده مبيقولهمش اسمعوا كلامي بيقولهم اسمعوا كلام ربنا طب ده عايز إيه؟ بيقولهم نتحاكم إلى كتاب الله مش إلى كلامي طب بفهمك؟ لا مش بفهمي بفهم السلف –رحمهم الله– يعني إنتَ مش عايز حاجة؟ لا مش عايز حاجة.

لا تنتظر أجر على دعوتك إلا من الله

طب إيه اللي هيعود عليك؟ "إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" هود:29، طب إنتَ هتستفاد إيه؟ "إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" هود:29، لذلك سؤال الأجر قادح دائمًا، سؤال الأجر من وراء دعوتك قادح في صدقك وإن لم يقدح على خلافٍ في أجرك هو قادح في صدقك عند الناس، في هذه الأوقات انتشار الظلمات والجهل لا تسأل الأجر واصبر واحلُم عليهم "اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:14، اِصبر بل بعد ما قتلوه يتمنى لهم الخير يبقى أيضًا دي من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في هذه الأوقات "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا" يس:21،

بل أثر مروي أظن عن قتادة –رحمه الله– "أول ما وصل إليهم هذا الرجل مؤمن آل ياسين أول لما وصل خلاص المعركة ما بين الرسل والقوم هيقتلوهم، أول لما وصل فسأل الرسل أمام القوم هل تريدون من أجر؟ قالوا لا، قال: هم مرسلون" دي علامة من علامات الصدق، إنتوا عاوزين حاجة، إنتوا هتموتوا أهو، أنا بسألكم هما هيموتوكم، إنتوا عاوزين حاجة؟ لا مش عاوزين حاجة، قالوا قال هم مرسلون دول صادقون، أساسي، طالما مهتدون، يطبقون، بيقولهم "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" يس:21، بما يقولون.

تحدث عما تشعر به حتى تلامس قلوب الناس

ثم بدأ يتكلم عن نفسه ويتحدث عن مشاعره هو "وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ" يس:22، "أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ" يس:23، "إِنِّي إِذًا" يس:24، "إِنِّي آمَنْتُ" يس:25، كل دي بيتكلم عن نفسه هو زي ما قلنا في الوقت ده أنت تتكلم عما تشعر عما ترى، عن يقين أنت تشعر به، كلامك يوصل للناس لما الكلام يبقى مجرد كلام إنت سمعته وبتردده، أنت لم تلامس هذه المعاني لا يصل، لا يصل زي ما قلنا إن شاء الله لو ربنا قدر لنا البقاء واللقاء في لقاء مؤمن آل فرعون في سورة غافر هو يتكلم صادق فيما يقول.

إن شاء الله نؤجل بقية الآيات لكن هنلاحظ زي ما بنقول بعد ما بدأ دافع عن الرسل بدأ هو يدعوهم، يبقى أول حاجة عملها صدق الرسل وأثبت صدقهم بأدلة، بعض ما أثبت الصدق بدأ هو يتكلم ويوضح حتى يكون امتدادًا له أيضًا ده يفيد التعزيز، فكلامه إمتداد لكلامهم فبدأ يتكلم عن نفسه أولًا مش ومالكم لا تعبدوا الذي فطركم، "وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي" يس:22، ثم عند الموت اللي الكل هيموت فقال: "وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" يس:22، انتوا هترجعوا لربنا ثم عاد إلى نفسه مقالش أتتخذون من دونها آلهة اتكلم عن نفسه قال: "أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ" يس:23، أنا "الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ" يس:23.

-لطيفة ذكر الضر مع اسم الله الرحمن

خد بالك استعمل اسم الرحمن اللي هما استعملوه وجاب معاه الضر، أحيانًا يريد الله الرحمن الضر بأُناس لأسباب لحكمة فهما في الأول نفوا، انتوا جايين تهددونا بالعذاب؟! نفوا إن التهديد بالعذاب يتنافى مع الرحمن، قالهم لأ ينفع الرحمن "إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ" يس:23، شوفوا هو بيرد عليهم بيرد على شبهاتهم.

الخاتمة

إن شاء الله المرة القادمة نتدبر في ألفاظ هذا الرجل اللي مليئة بالصدق والإخلاص والتي خلدها الله -عز وجل- ليوم القيامة، أسأل الله -عز وجل- أن يستعملنا ولا يستبدلنا، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرًا.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36